ملحق

الأسبوع الأدبي

ملحق ٧٤

الخميس ٢٢ أيلول ١٩٩٤ م - ١٧ ربيع الآخر ١٤١٥ هـ

د. حسن فتح الباب

الافتتاحية

أشجان الغربة

في ديوان «وردة كنت في النيل خبأتها» للشاعر الدكتور حسن فتح الباب

هذا هو ديوانه التاسع فقد اصدر الشاعر الدكتور حسن فتح الباب قبل ديوان «وردة كنت في النيل خبأتها» ثمانية دواوين بدءاً من «من وحي بور سعيد» ١٩٥٧ حتى «رؤيا الى فلسطين» ١٩٨٠ وله غير هذه الاعمال الشعرية عدد من الكتب الفكرية والادبية . وقد كان ديوانه الثالث «مدينة الدخان والدمى» اول ما قرات من دواوين الشاعر حسن فتح الباب وان كنت قد قرات عددا غير قليل من قصائده المنشورة في المجلات وفي مجلة الآداب على وجه التحديد .

وبالرغم من انني قد عشت في القاهرة قريبا من الشعراء الكبار والصغار ايضا الا انني حرمت من لقاء هذا الشاعر الذي اهدشني ديوانه «مدينة الدخان والدمى» وقادني الى تتبع بقية اعماله الشعرية . وكان السبب وراء عدم اتمام اللقاء ان الشاعر كان يشغل في اواخر الستينات وظيفة وكيل وزارة الداخلية بما يشبه المنصب

من احساس خاطىء بالتناقض بين الشعر والعمل العسكري . وكان صديقي وصديقه الشاعر المغفور محمد ابراهيم ابو سنه دائم الثناء على دائم الاشارة الى ما يتميز به من طيب وحضور انساني تؤكدهما صلته العميقة بالشعر والشعراء ويؤكدهما كذلك صراعه الحاد مع نظام السادات وطوافه في الجامعات العربية استاذاً للقانون الدولي والعلوم السياسية حتى القى عصا الترحال مؤقتا في جامعة وهران ومن هناك يرسل اغانيه الشجية الى مصر العظيمة الشامخة :

فوق الليالي الكالحات
لا .. لست إيزيس الحزينة
لا .. لست مصر الصابره
بل انت مصر القاهره

هل الاشارات السابقة ضرورية ؟ وهل يحتاج القارىء لديوان الشعر الى خلفية تختزل له ملامح سريعة من حياة الشاعر وتضعه - رأي القارىء - في اخر موقف من المواقف التي صنعت التجربة الشعرية وعبرت عنها ؟ اعتقد خلافاً لما تذهب اليه معظم الدراسات النقدية الحديثة ان فهم النص الادبي فهما عميقا يتوقف على فهم حياة صاحبه او على الاقل فهم الظروف التي رافقت ظهور النص فالتعرف على ظروف صاحب النص لايفذي شوقنا وتطلعنا الى حياة غيرنا من الناس والممتازين منهم خاصة - كما يقول الدكتور مصطفى ناصف - وانما يعيننا على فهم النص وتحديد موقعه على سلم درجات التطور الفني وهو لايرتبط بتاريخ صاحب النص بقدر ما يرتبط بمناخ عصر الابداع .

وانطلاقا من هذا الفهم الموضوعي لعلاقة بين النص وصاحبه وبتعبير اوضح بين الشعر والشاعر تكون الاشارات السالفة بالرغم من ايجازها ضرورية . وما يعنينا من هذه الاشارات ان هذا الشاعر قد ظل وفيا لمدرسته ولجيله فلم يعبث ولم يغامر بعيدا عن المقاييس الذوقية والسمعية التي اكدت عليها القصيدة الجديدة في الخمسينات والستينات .

يضم الديوان تسعا وعشرين قصيدة ثمانية عشرة منها كتبت «قبل الرحيل» اي قبل رحيل الشاعر من مصر وبقية القصائد «بعد الرحيل» وقد كتبت جميعها في مدينة وهران الجزائرية حيث يقيم الشاعر منذ عام ١٩٧٧ ويشتغل بالتدريس في جامعتها الفتية . ويربط بين قصائد ما قبل الرحيل وما بعد الرحيل شعور مشترك بالاحساس بالغربة والحنين الى وطن جديد . وتقف قصيدة «اختيار» فريدة بين قصائد المجموعة الاولى وقرائتها تأتي من الحيرة المريرة حيرة الشاعر في اختيار البقاء في الوطن الام تحت سيطرة [illegible] الاحباط، اختيا الرحيل «وهران» يكتب قصيدته الثانية (الرحيل الى وهران) يضمنها ما يشبه الاستئذان من الوطن الام . لقد استبدت به فكرة الرحيل وحاصره الاكتئاب والذئاب من كل الجهات .. لابقاء له في مصر التي يعلم انها تحبه ولاترتضي بأن يبتعد عنها :

واعلم انني احبك .. انك لن تدعيني
وحيدا إذا غبت عنك
فما لي أنأى بعيدا ويكبر حبك
وعيناك واسعتان .. ولكن «طبية»
ابوابها انكرتني
وثوبي المهلهل ليس يواريه جلد الذئاب
وكل الذين عليها يصيحون : اير
قميصك ؟
لاتأت عريان .. لا .. لن تمر
لك ، الويل إن تقتحم
ففي الجبّ مأوى الذين افتروا
و«طبية» مأوى الذين اتقوا
والذين بنا يؤمنون
وأنت اضعت الصلاة
وافسدت في الارض
خنت الامانة يوم غويت
وكنت من الفاسقين

إن التردد الذي اسفرت عنه القصيدتان بل الذي اسفرت عنه قصائده ماقبل الرحيل يرجع الى خوف الشاعر من الغربة المادية ، ومما سيلقاه بعيدا عن الاهل والدار من عذاب وجيع . وفي نهاية اول قصيدة كتبها في وهران كان هذا البث الموجع الحزين وكانت هذه الحشرجة الاليمة :

حدثتني الربيع في «وهران» عن حديقتي
عن زمني .. عن وطني

إنه لم يذهب الى «وهران» لكي ينسى لكنه ذهب لكي يتذكر ، يتذكر الوطن ، الام ، التفاصيل الصغيرة التي ما كانت لتخطر على بال وهو في نفس الوطن .. بدات تحتل في نفسه مساحات واسعة .. كل شيء في الوطن يلوح على البعد جميلا ومتوهجا ماعدا صور الذئاب ، الانياب الظامئة الى الدم والوجوه الملوثة بالحقد ، وجوه اللصوص الذين يسرقون المطر ويبنون ناطحات السحاب على هياكل الجياع والبائسين من البشر . ان الشاعر في غربته يرصد ذكرياته مع الارض والناس مع المدن الصغيرة والكبيرة ويتوقف عند «الاسكندرية» عند اصوات العصافير وعند الصخور التي لم تعد صخورا :

لماذا تذكرتك الآن ؟ كل البلاد سواء
و «وهران» سيدة الماء والجبل الاخضر
المتواري

وراء نجاوى عشيقين يسترقان الثواني

فالغربة قد شكلت قصائد الديوان وشكلت ملامح تكويناته الصورية وكثيرا من جمله الشعرية ومنها على سبيل المثال لا الحصر او التتبع : الموانىء البعيدة ، يمد يديه غريبا ، الشواطىء تمضي ، تغمرنا ادمع الذكريات ، ليالي الحنين ، النوافذ مطفأة ، البحر طير

وما يترتب عليه من تساؤلات ابسطها : «الى اين ؟» لقد بدأ قصيدة اخرى من قصائد ما قبل الرحيل يبيت من التراث يتحدث فيه صاحبه عن اتساع الارض ووجود منأى فيها للكريم والخائف لكن تلك القصيدة تبقى بداية تفكير بالهجرة بينما قصيدة «اختيار» تنتقل بالتفكير الى مرحلة الاستعداد والاختيار اختيار المكان الجديد للهجرة :

.. وتهدر كل المحيطات
أي الشواطىء تختار ؟
كل المحيطات حولك
إني سأوي الى جبل
ولكن طوفان نوح يعيد بعيد
وكل المحيطات يحملها قلبك المستباح
وريانك الان صوت السلاسل
تنهار تحت جحيم الجليد
وكهف العبيد
ولاعاصم اليوم من امره

واختار الرحيل الى وهران وفي القلب حنين الى بغداد :

إني سأمضي لوهران
ليس يضل فؤاد المحب
ولكن مغنيك يا نهر يشقى
ويبقى لي الوجد والويل بغداد
إن غاب طيفك عني
وليست بغائبة عن دمي

وقبل ان يغادر مصر الحبيبة الى

د. عبد العزيز المقالح

مهاجر ، عيون بعيدة ، طيف من اهلي الغرباء ، اسير الحنين ، تدوبنا الا ض الـ

أمواجٌ يسترون

ن اشجار الغربة بمضامين قصائد الديوان ولغته وصوره الشعرية . وقد تبدو هذه الاشجان في قصيدة «بإيجاز وفي اخرى بإسهاب وتأتي اللغة مع قصيدة مباشرة احيانا وعميقة غامضة احيانا . هذا ما يجرنا الى الاعتراف بأن هذه القراءة قد اقتصت على الجانب الموضوعي . وقد تكون تحريضا او دعوة الى قراءة اخرى تتخطى المعنى الى السمات الفنية وإن كان جانب المعنى لم يستوف حقه بعد ، وما تزال مواجيد العربة ترفع صوتها عاليا وحزينا تنشد السلوى في الوحدة والثورة :

نحن ابناء الجراح اليائسه
ننشد السلوان في الشمل الجميع
ونغني لنثور
ونثور اليوم كي نحيى غدا

فلماذا انت تبكين بوهران الرياح العاصفه
وهي ما كانت لنا يوما رداء .. انما
كنا ضحايا الصمت
والآن تدوي العاصفه

حسن فتح الباب

د. سمر روحي الفيصل

نحتفي في هذا العدد من الملحق الشهري بأديب عربي مصريّ عرفناه قبل عقدين ونيّف صوتاً شعرياً جريئاً، ورائداً من روّاد الحداثة الشعرية . ومن المؤسف اننا، في هذا العدد، لن نقدّم للقارىء العربي غير حسن فتح الباب الشاعر. اما فتح الباب الباحث والناقد والمسرحي والقانوني والعامل في حقل الحضارة العربية فلن يعثر القارىء على شيء منه في هذا العدد، على الرغم أننا حاولنا تغطية هذه الجوانب، وحرصنا عليها الحرص كلّه. ولايعني وقوفنا عند فتح الباب الشاعر اي تـوهين لهذه الفعالية الأدبيّة في إنتاجه، فهي متميزة لديه، بل يعني ان صورته الأدبية عبرت إلينا وإلى غيرنا من العرب شعراً ليس غير. ولعله اسهم في ذلك، فحرص على الشعر وحده، إذا استثنينا إقامته في الجزائر، وما تبع هذه الإقامة من تفاعل نقدي مع الشعر والقصة والإبداع عموماً في القطر الجزائري.

والحق ان فتح الباب ، مثلما من الآخرين الذين جايلوه بتلك المسحة من الحزن الشفيف. ذلك الحزن الذي ينصبّ في مصر بعد عبوره الوطن العربي. إنه حزن الإنسان المبدع حين يرى الحقوق تستباح، والمقهورين يرجون من قاهريهم الرحمة، والجياع الذين لا يتورعون عن الذلّ من أجل لقمة العيش. إنه حزن المبدع الذي لا ييأس، ولا يستكين للحاضر. ولهذا السبب كان فتح الباب مصراً على ان يعيد في دواوينه اللاحقة بعضاً من القصائد التي نشرها في دواوين سابقة . ولم يكن هذا العمل فقراً ولا نضوباً في الابداع، بل كان حرصاً على ان يسمع القارىء الجديد ما كان سابقه يعرفه ويتذوقه

لم يكن ارتباط الشاعر حسن فتح الباب ببورسعيد وبمعانيها الانسانية الجميلة ارتباطا عابرا او مفاجئا ، وانما هو ارتباط عميق الجذور في نفسه ، يقوم على وعي موضوعي وادراك مستنير ناضج. كانت معركة بورسعيد ومعانيها النضالية أحداثا واقعية تزيد ايمانه بمبادئه الاجتماعية والفلسفية التي يعبر عنها في اخلاص وبساطة وهو يستمد قوته وحيويته من تجارب الشعب.

محمود امين العالم
في مقدمته لديوان (من وحي بورسعيد / فبراير ١٩٥٧)

يعمد الشاعر على التصوير الفني غير المباشر ، وعلى ابراز النقيض الصاعد المناقض لنقيضه الرجعي. وعلى شد ازره حتى ينتصر ومشكلة بورسعيد نموذجية ، فهي تمثل الصراع المحتدم في كل مكان بين القوى الاستغلالية والقوى التحررية وحينما ينفعل القارىء عند قراءته شعر هذا الديوان ويصمم على مضاعفة العزم في مقاومة الاستعمار سيعرف مدى نجاح الشاعر حسن فتح الباب في اداء رسالته الفنية السامية.

(محمد مفيد الشوباشي)
في مقدمة اخرى للديوان

استرعت نظري بين كل ماسمعت من قصائد الشعراء الذين يكتبون الشعر الحر قصيدة حسن فتح الباب (دم على البحيرة) إذ تتحقق فيها مقومات هذا الشعر ولاسيما العنصر الدرامي ، وتمتاز بالقدرة على التعبير بالأسطورة عن الواقع.

(الدكتور محمد مندور)
في ندوة بالجمعية الأدبية المصرية في أوائل الستينات

لقد عاد حسن فتح الباب من أمريكا فزعا مما رأى ، وخائفا من السلطة بالمفهوم الذي لمسه هناك . فكان طبيعيا وهو يترجم رحلته الى أبيات من الشعر ان يغني بلهجة الخائفين ، وان يتعاطف مع الغرباء والهاربين.

إن الفزع من سرطان السلطة كما عاد به حسن فتح الباب لايمكن أن يكون فزع ضابط ، وإنما هو فزع شاعر حقيقي بكل معنى الكلمة ، فزع رجل ينبض الشعر في عظامه ولايحاول على الاطلاق ان يفتعله واللهجة التي يغني بها لهجة رجل مطارد لارجل يطارد الآخرين . ولأنه شاعر فان الايمان بالانسان يجد طريقا بين أبياته من خلال الضباب والأسى ... هذا الشاعر العذب الحزين .

(الصحفي الروائي صلاح حافظ)
عن ديوان (مدينة الدخان والدمى) ١٩٦٧

شهادات

وبتجه للثورة عليه. الواقع لم يتغيّر، فلماذا لا ننشر ما كنّا فضحنا به الواقع قبل عقد أو عقدين؟.. لماذا نكرر ماكنّا عبرنا عنه؟.

ويؤكد ذلك تبديل المسار حين يصبح الحديث عن موضوع يبعث على التفاؤل أويحتاج إليه، كما هي حال القصائد المكتوبة عن الجزائر وفلسطين..

ففي هذه القصائد بوح آخر، وتغيير في المقاطع، وتنويع في المفردات، سواء أكان الحديث عن معجم الشاعر إيجابياً أم سلبياً،وسواء أكان الناقد ينطلق من جلال الموضوع أم إبداع الصور وبناء القصيدة.

إن الدكتور حسن فتح الباب صوت شعري ذو بحّة خاصة، تكاد تعرفه وإن لم تجد اسمه مدوّناً إلى جانب شعره. ولكنّ المصيبة تكمن في أننا لا نقدّر [illegible] لهم سطوة ومراكز يقبل عليها الناس أو يخافون منها. وهذا العدد من الملحق محاولة لاختراق هذا الجدار، وسعي إلى تكريم أديب ضيّع حياته الأدبية وهو يغني للمظلومين العرب، دون أن يصرخ أو يتنازل عن الفن الشعري. والظن بأن الأدباء العرب بدؤوا يدركون شيئاً مهماً، هو أن تضامنهم قوة لهم جميعاً، وتفرّقهم ضعف لهم جميعاً. ولن يكون هناك تضامن في الأدب من غير سعي إلى دراسة فتح الباب وغيره من المبدعين لتحديد ما قدّموه، وقياس ما أنجزوه، ولا أشك في أن الدكتور حسن فتح الباب سيفوز حين ترجح كفّة ميزانه، فيتألق نصيبه من الإبداع والدائقة النقدية.